

**”الأبعاد الفلسفية لمفهوم البيئة عند مارتن هايدجر”****دكتورة/ آمال محمد عيد جاد الشامي**

مدرس بقسم الفلسفة بكلية البنات - جامعة عين شمس

**ملخص**

العالم، بما فيه من موجودات، يمثل ، في نظر مارتن هايدجر ، الفيلسوف الوجودي المعاصر، البيئة الخاصة التي يولد ويعيش فيها الإنسان ويتشكل بواسطتها وجوده، ولهذا ينادي هايدجر، وهو يساير هنا علماء الطبيعة، بضرورة تناول الإنسان في إطار بيئته التي هي العالم ، وذلك لفهمه على النحو الأكمل، وهو يرى أن أي محاولة للفصل بين الوجود الإنساني والبيئة أو العالم هي محاولة فاشلة لأن الإنسان والبيئة مرتبطان برباط لا يمكن أن ينفصم، ومن هنا كان كل اهتمام بالبيئة هو اهتمام بالإنسان، والعكس هو الصحيح أيضاً بمعنى أن الاهتمام بالإنسان ما هو إلا اهتمام بالبيئة، وفي المقابل يكون كل تدمير أو عدوان على البيئة يمثل تهديداً للإنسان، ولهذا تحتم على الإنسان، لكي يحمي وجوده، أن ينفذ بيئته.

**Abstract**

The world, including its assets, represents the contemporary existential philosopher, Martin Heidegger, the special environment in which man is born and lives and is formed by his presence. Thus, Heidegger advocates naturalists to deal with man within his own environment, To understand it fully, and he believes that any attempt to separate the human existence and the environment or the world is a failed attempt because the human and the environment are linked to the bond cannot be separated, and hence all the attention to the environment is an interest in the human, and vice versa also in the sense that interest in the human is only an interest Environment, and in contrast The fact that every destruction or aggression on the environment is a threat to man, so it is imperative for man, to protect his existence, to save his environment.

## عناصر البحث

المقدمة

- ١- البيئة بوصفها جزءاً من عالم الإنسان
  - ٢- وسائل ارتباط الإنسان ببيئته
  - ٣- طرق التعامل الإنساني مع البيئة
  - ٤- الرسالة التنويرية للإنسان تجاه البيئة
  - ٥- ظهور التكنولوجيا وفساد العلاقة بين الإنسان والبيئة
  - ٦- إنقاذ البيئة وعودة الوفاق معها
- الخاتمة وأهم نتائج البحث  
مصادر ومراجع البحث

## المقدمة

موضوع هذا البحث يتعلق بالأبعاد الفلسفية لمفهوم البيئة عند مارتن هايدجر. M. Heidegger (1889-1976م) ومارتن هايدجر واحد من أهم أقطاب الفلسفة الوجودية الذين ساروا على درب كيركجور إلا أنه خالفه في مسألة الانصياع للمسيحية. فهيدجر متحرر من كل نزعة دينية، وهو معروف في الأوساط الفكرية بذلك، إلا أن فكره يتسم بالنظام والعمق والصرامة والدقة. وقد دأب "هايدجر" على خوض المشكلات الصعبة والمناطق المجهولة في الوجود، كما أثر نحت المصطلحات الجديدة، واستخدام التعبيرات غير المألوفة، وهذا جعله يبدوا غامضاً وصعب الفهم أمام قراءه، كما عرضه للنقد والاتهامات من قبل الباحثين.

وقد ولد "هايدجر" M. Heidegger (1889 - 1976) بألمانيا من أسرة مسيحية. وتشبع في صباه بتعاليم القديس "توما الإكويني" Aquinas, T. (1224 - 1274)، ثم درس الفلسفة بعد ذلك على يد زعماء الكانطية الجديدة "فندلباند" Windelband (1848 - 1915) و "ريكرت" Rickert (1863 - 1936)، حيث تعلم منهما ضرورة التمييز بين علوم الطبيعة القائمة على التفسير، وعلوم الروح القائمة على الفهم، كما أخذ عنهما أيضاً أهمية دراسة تاريخ الفلسفة الأوربية منذ أن ظهرت أول مرة عند الفلاسفة اليونانيين الأوائل إلى أن تطورت على يد الأوربيين المعاصرين له. وبعد ذلك التحق "هايدجر" بجامعة فريبورج ودرس فيها المنهج الفينومينولوجي على يد زعيمه ومؤسسه "إدموند هوسرل" Husserl, E. (1859-1938م)

وفي عام 1916م حصل هايدجر على درجة الدكتوراه من نفس الجامعة، واستطاع بفضل قراءته، أن يقيم جسراً من الحوار بين فلاسفة الماضي وفلاسفة الحاضر، وهذا جعل فكره يلقي رواجاً في الأوساط الفلسفية، كما أهله لشغل وظيفة أستاذ الفلسفة في جامعة ماربورج عام 1923، ثم شغل نفس الوظيفة في جامعة فريبورج عام 1929، خلفاً لأستاذه "هوسرل"، الذي كان يشغل هذا المنصب قبله. وخلال فترة الحكم النازي، وبالتحديد عام 1933م، تقلد "هايدجر" منصب مدير جامعة فريبورج، ولكنه ما لبث أن استقال من منصبه بعد عام واحد من توليه له،

وكان ذلك بسبب اتهامه بالعداء للنازية، بل وتم منعه من مزاولته نشاطه المهني كمدرس جامعي، ولكن ذلك لم يثته عن عزمه على مواصلة نشاطه الفلسفي، وليس أدل

على ذلك من انتشار أفكاره خارج حدود ألمانيا. ومن أهم مؤلفات "هيدجر" نذكر: كتاب "الوجود والزمان" الذي نشر عام ١٩٢٧م، وهو أشهر مؤلفات "هيدجر" على الإطلاق، وهو يتضمن التحليلات الوجودية التي قدمها "هيدجر" للوجود الإنساني وعلاقته بالعالم.<sup>(١)</sup>

والفكرة الرئيسية التي يطرحها هذا البحث هي فكرة البيئة التي يكون الإنسان مهتماً ومهموماً بها منذ الوهلة الأولى لوجوده في العالم. فالوجود الإنساني عند هيدجر يكون مندمجاً في العالم الذي تمثل البيئة جزءاً رئيسياً فيه، والإنسان يتعامل مع بيئته من منظور الاهتمام الذي يعتبره هيدجر فطرة فيه تجعله مشغولاً دائماً بمحاولات فهم وتفسير وتسخير العالم.

من هذا المنطلق أثر هيدجر دراسة الإنسان في إطار بيئته، أي العالم، وذلك على غرار العلوم الطبيعية التي تدرس الكائن الحي في إطار بيئته التي يعيش فيها ويتشكل بواسطتها وجوده. فالبيئة، فيما يرى هيدجر تمثل عنصراً أساسياً في تكوين وجود الكائن الحي وتشكيل صفاته، وبنفس الطريقة تعتبر دراسة الوجود الإنساني في إطار العالم هي الطريقة المثلى لفهم أبعاد هذا الوجود، لأن العالم يمثل بيئة الوجود الإنساني التي يولد ويعيش فيها ويتأثر بها، وهي تتدخل بشكل كبير في تشكيل وجوده، وعلاوة على ذلك فإن طريقة الحياة التي يعيشها الإنسان تتأثر بالبيئة التي يتواجد فيها فضلاً عن أفكاره ومعتقداته وثقافته التي يؤمن بها بشكل عام.

وطالما أن العالم مهماً على هذا النحو، فإن على الإنسان مسؤولية تجاهه، وهي مسؤولية لا تقل عن مسؤوليته تجاه وجوده ذاته، فكل محاولة لفهم العالم وتنظيمه وتغييره للأفضل تصب في مصلحة الوجود الإنساني، والعكس هو الصحيح أيضاً بمعنى أن أي محاولة لتدمير العالم عبر تسخيره لن تسفر إلا عن تدمير الوجود الإنساني، ولا يخفى على أحد ما يعانيه الإنسان حالياً من أمراض نتجت عن ظاهرة التلوث البيئي الذي سببته ظاهرة التصنيع بعد ظهور التقنية ومحاولات السيطرة على الطبيعة في العصر الحديث، وهذا يقودنا إلى ضرورة ملحة وهي عودة الوفاق بين

(١) د/ زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج١، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٨م. ص ٣٩٦-

الإنسان والعالم مرة أخرى ، لأن فساد العالم سيتبعه هلاك الإنسان، أما كيف يتم ذلك فهو ما سوف يتضح في السطور القادمة.

أولاً: البيئة بوصفها جزءاً من عالم الإنسان:

يمكن القول أن العالم عند مارتن هيدجر ينقسم إلى مناطق متعددة، ومن هذه المناطق "منطقة البيئة"، وهو لا يقصد بها البيئة الجغرافية أو البيئة الفيزيائية، وإنما يقصد بيئة الأشياء أو الوسائل التي يصادفها الإنسان في العالم عند ممارسة مهام الحياة اليومية وتسهم في انجازه هذه المهام، فالإنسان يجد بيئته مكتظة بالوسائل والأدوات القابلة للاستخدام، ومن ثم يستخدمها لتحقيق مشروعاته وامكانياته ، ولهذا فهو يدرك بيئته من الوهلة الأولى بوصفها بيئة أداتية أو بيئة ذرائع. (١)

أما عالم الآخرين الذين يتعامل معهم الإنسان في العالم فتسمى بمنطقة المحيط أو عالم "الوجود مع-الآخرين". وتشمل منطقة المحيط "منطقة أخرى هي منطقة العزلة"، والتي يعتبرها هيدجر بمثابة الاستراتيجية التي يتبعها الإنسان لحماية وجوده المستقل من التشتت في وجود الآخرين، وهي في رأيه ضرباً من التواجد مع الآخرين ولكن على نحو حذر. وتختلف منطقة البيئة في عالم الإنسان عند هيدجر عن "منطقة المحيط" التي يقصد بها الآخرين، رغم أن هيدجر دائماً ما يستخدم كلمة العالم للدلالة على البيئة والمحيط الاجتماعي، ولهذا عند الحديث عن البيئة سيتم استخدام لفظي العالم والبيئة وأحياناً الطبيعة بمعنى واحد هو البيئة. (٢)

يساير مارتن هيدجر الفلاسفة الوجوديين في اعتبار دراسة الوجود الإنساني بعيداً عن العالم دراسة قاصرة، لأن العالم، بوصفه بيئة ومحيط الإنسان، يعتبر عنصراً لا غنى عنه على الإطلاق. فالعالم يعتبر عنصراً أساسياً في تركيبية الإنسان الجوهرية وبدونه لن تقوم للإنسان قائمة. فهيدجر ينظر إلى الإنسان بوصفه خبرة وجود في العالم، أي أنه ينظر إلى الإنسان بوصفه موجهاً، منذ البداية، نحو العالم الخارجي بمعنى أنه لا يظل قابلاً داخل ذاته أو مغلقاً عليها بل دائماً ما يتخرج عنها أو يوجد

(١) مارجوري جرين: هيدجر، ترجمة/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ٢٠.

(٢) مارتن هيدجر : ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ترجمة/فؤاد كامل، ومحمود رجب، راجعه على الأصل الألماني وقدم له د/ عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٢٨

خارجا عنها في العالم. وهذا التخارج المستمر من قبل الإنسان في العالم يجعل من الوجود الإنساني وجوداً قصدياً. وفكرة " الوجود القصدي" تعود في الأساس إلى "هوسرل" صاحب نظرية "القصدية" Intentionality، تلك النظرية التي ترى أن الوعي الإنساني، وكذلك الفعل، يتجه دائماً إلى شيء آخر خارجه أي يستهدف دائماً موضوع ما خارج الذات الواعية، تماماً مثلما تستهدف الرغبة موضوعاً ترغب فيه، ومثلما أن الحكم يكون دائماً حكماً على شيء أو حالة واقعية. وبهذه الطريقة جعل هوسرل العالم عنصراً لا غنى عنه للوعي والفعل معاً. فالذي يعي أو يفكر ويمارس أفعال يحتاج إلى العالم بوصفه موضوعاً لوعيه ولأفعاله. ولهذا كان الإنسان مرتبطاً دائماً بالعالم برباط من المستحيل أن ينفصم. (1)

وعلى الرغم من تأثر هيدجر بفكرة "القصد" عند هوسرل، إلا أنه ينتقد بعض جوانبها. فقد اعتقد هوسرل أن الوعي لا يكون مجرد جوهرًا يفكر، كما كان عند ديكارت، ولا مبدأ منظم لشروط التجربة، كما كان عند كانط، وذلك لأنه يكون دائماً وعياً بموضوعه وهو الأشياء، وبهذه الطريقة أصبح الكوجيتو الديكارتى القائل: "أنا أفكر، إذن أنا موجود" على يد هوسرل: "أنا أفكر في موضوع معين"، وأصبح الوعي بهذه الطريقة مشيداً لموضوع تفكيره.

و هيدجر يرفض مثل هذا التفسير، وذلك لأنه يرى أن كون الوعي يشيد موضوعاته ، فإن ذلك يعني عدم استقلال هذه الموضوعات وتبعيتها للوعي، في حين أن هذه الموضوعات أو الأشياء توجد مستقلة تماماً عن الوعي، علاوة على أنها تصطدم بالإنسان على نحو وجودي وليس على نحو فكري، ولو كانت تصطدم بالإنسان فكرياً لما كانت الحاجة إلى تعيينه من خلال الجسم، فوجود الجسم ضرورة لامتلاك مهارات التعامل مع الأشياء الموجودة في العالم، وبالتالي فالبدء من الجسم ، كما يقول هيدجر، أولى من البدء من الوعي، طالما أننا نتحدث عن الوجود وليس عن التفكير .

(1) Husserl ,E.: Phenomenology, in Encyclopedia Britannica, Vol.(1٤), Inc. William Benton, Publishers, Chicago, Geneva, London, Manila, Paris, Roma, Seoul, Sydney, Tokyo, Toronto, ١٩٤٣-١٩٧٣, PP. ١٠٣-١٠٤.

حقاً أن هوسرل في منهجه الفينومينولوجي\* لا ينكر استقلالية الأشياء حين يعلق الحكم عليها ويضعها بين قوسين، ولكنه حين يؤكد على طبيعة الإحالة بين الوعي والأشياء يعود فيربطها بالوعي فيقضي على استقلاليتها، كما يجعل الإنسان كائناً مفكراً وهذا هو ما يرفضه هيدجر ويعترض عليه لأنه ضد الأنطولوجيا. (١)

وإذا ما تناولنا المعنى اللغوي لكلمة "العالم" في اللغة الإنجليزية فسندجها تؤكد هذا المعنى. فكلمة "العالم" World مشتقة من مركب إنجليزي قديم هو wear - old ومعناه "عصر الإنسان". فكلمة "wear" تعني إنساناً، وكلمة "old" تعني عصر أو عهد". و قد تطورت الكلمة فيما بعد لتصبح كلمة واحدة هي "العالم" بوصفه بيئة الإنسان ومحيطه. (٢)

ومن هذا المنطلق كان الإنسان وثيق الصلة بالعالم، و العالم وثيق الصلة بالإنسان. فكل منهما يميل إلى الآخر، وهذا يعني أن العالم يمثل، كما يقول "هيدجر"، تحديداً أنطولوجيا للإنسان أي أنه يمثل سمة من سماته الأنطولوجية التي تدخل في نسيج وجوده. فمن المستحيل أن نتخيل الإنسان بدون العالم، كما لا يمكننا أيضاً أن نتخيل العالم بدون الإنسان، وأكبر دليل على ذلك هو أن العالم يوجد مؤهلاً لاستقبال الإنسان، كما أن الإنسان يوجد ممثلاً لقدرات تؤهله للتعامل مع العالم. ويؤكد

---

=\*يُعنى المنهج الفينومينولوجي، أو "الفينومينولوجيا" Phenomenology، عند هوسرل بالوصف الخالص للظواهر أي الوصف المتحرر من كافة التأكيدات المسبقة. فالمنهج الفينومينولوجي لا يفسر الظواهر استناداً إلي قوانين معينة، كما لا يستنبط من مقدمات أو معطيات بل ينظر إليها مباشرة كما تبدو للوعي لكي يصفها وصفاً يستقل كل الاستقلال عن الذات العارفة، وهذا المنهج أمل "هوسرل" أن يحقق به للفلسفة التقدم الذي حظى به العلم الحديث. انظر:

Husserl, E.: Phenomenology in Encyclopedia Britannica, Vol.(١٤), Inc. William Benton, Publishers, Chicago, Geneva, London, Manila, Paris, Roma, Seoul, Sydney, Tokyo, Toronto, ١٩٤٣-١٩٧٣, P.١٠٣.

(١) د/ حبيب الشاروني: فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص٥٣-ص٥٤.

(٢) جون ماكوري: الوجودية، ترجمة د/ امام عبد الفتاح امام، مراجعة د/ فؤاد زكريا، عالم المعرفة، العدد

(٥٨) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٢م، ص١١٢

سارتر، J. Sartre (١٩٠٥م) هذا المعنى فيقول: " بدون العالم لا وجود للشخص أو الذات البشرية، وبدون الشخص أو الذات البشرية لا وجود للعالم." (١)

ومن هنا يقرر هيدجر أن العالم بالنسبة إلى الإنسان يُعد بمثابة الميدان الذي يمارس فيه الإنسان أفعاله المقصودة، على حد تعبير هوسرل، فجميع أفعال الإنسان وأنشطته تعتبر موجهة ومقصودة وليست مجرد أفعال وأنشطة عشوائية أو اعتباطية، وجميعها يؤكد أن العالم مجال مهم للفعل والنشاط الإنساني ولا غنى عنه بأي حال من الأحوال، ولكن مع ملاحظة أن العالم ليس مجرد مجال مكاني للإنسان فحسب، وذلك على نحو ما تمثل الغرفة للكرسي الموجود فيها والكوب للماء الموجود به، لأن العالم يعتبر أكثر من مجرد مكان، فهو العنصر المكمل للوجود الإنساني الذي لن يصير وجوده على النحو الأكمل بدون العالم. (٢)

وفي هذا يذكر "أورتيجا إي جاسيت" Gasset, J.O.Y. (١٨٨٣-١٩٥٥م) أن الإنسان عبارة عن هجرة دائمة إلى العالم، وهذا يعني في رأيه أن الإنسان لا يكون ذاته إلا من خلال العالم، كما أن العالم هو الآخر يعتبر عالماً إنسانياً بالدرجة الأولى، بمعنى أن كل نشاط بشري يحتاج إلى العالم لكي تتم ممارسته، كما أن العالم بدوره يكون مهياً لاستقبال هذا النشاط أيضاً، وهذا هو الذي جعل "أورتيجا" ينظر إلى الإنسان والعالم بوصفهما زوجان لا يفترقان أبداً تماماً مثل أزواج الآلهة عند اليونان، فهو يؤكد أن الإنسان والعالم مندمجان معاً بطريقة تنفي أي محاولة للفصل بينهما. فالإنسان لا يختار عالمه كما يختار مسرح ما بعد العشاء، ولكنه يجد نفسه منغمساً أو - كما يقول "هيدجر" - ساقطاً فيه بالفعل. (٣)

(١) جان بول سارتر: الوجود والعدم، ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٦م، ص ١٠٤.

(٢) مارتن هيدجر: ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ترجمة/فؤاد كامل، ومحمود رجب، ص ٢٥-٢٦.

(٣) What's Philosophy? Translated from :٢-Gasset, Jose Ortega Spanish by, Mildred Adams, W.W. Norton & Company/ London ١٩٦٩.P.٢٢٠.



## ثانياً: وسائل ارتباط الإنسان ببيئته: المكان - الزمان

إن الإنسان عند "هيدجر" يرتبط بالعالم من خلال وسيلتين هما: المكان، والزمان. فالمكان يشير إلى التواجد البشري في العالم، في حين يشير الزمان إلى سمة الحضور في التو واللحظة. ولهذا نجد "هيدجر" يستخدم مصطلحات من قبيل: "الموجود - هناك" "Being-there" ، و" الحضور أو الآنية" "Dasien" ، وذلك للدلالة على الوجود الإنساني. فمن الناحية الأولى نجد أن مصطلح "الموجود - هناك" "Being there" يشير إلى ضرورة أن يوجد الإنسان في مكان ما في العالم بحيث يشغل هذا المكان أي يحتله بوصفه مكانه هو، وبهذه الطريقة يمتلك الإنسان حيزاً من العالم.<sup>(١)</sup> ونلاحظ أن تجربة المكان هنا لا تشير، على نحو ما أشار ديكرت من قبل، إلى امتداد الوجود الإنساني في المكان، ولكنها تشير إلى نوع من النشاط والانفتاح على العالم. فالوجود الإنساني حين يشغل حيزاً من المكان، يشغله بطريقة عملية وفي سياق من المعنى يجعله يتمكن من تحقيق امكانيات وجوده عبر التفاعل والاندماج مع العالم، ومن هنا جاءت ضرورة تعينه أي أن جعله متعيناً أو متجسداً.

والعينية أو التجسد معناها أن يكون للإنسان جسماً يحتل به مكان في العالم ويساعده على الاستقرار فيه. فالجسم من الناحية الأنطولوجية يمثل سمة التعين في العالم، وليس في وسع الإنسان أن يوجد إلا من خلال صورته الجسمانية، كما لا يمكنه أن يتفاعل مع كل ما حوله إلا من خلال جسمه الذي يعتبر طريقتنا في المشاركة في العالم.<sup>(٢)</sup>

ويمكن القول أن التركيز على فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية بشكل عام كان أحد وسائل الهروب من فكرة الكائن المفكر في الفلسفة الحديثة، وتجربة الوعي عند هوسرل. فبرغم أن بداية الفلسفة الوجودية كانت تجربة فينومينولوجية بامتياز إلا أنها تحولت على يد الوجوديين، وبصفة خاصة مارتن هيدجر ، إلى تجربة أنطولوجية. فقد نجح هيدجر في تحويل الفينومينولوجيا من التركيز على الوعي إلى التركيز على الوجود المتعين الذي له جسم من لحم ودم.<sup>(٣)</sup>

(١) مارجوري جرين: هيدجر، ترجمة/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص ١١٢-١١٦

(٢) د/ حبيب الشاروني: فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، ص ٥٧-٧٤

(٣) Stanford Encyclopedia of philosophy, copyright by: The Metaphysics research lab center for the study of language and Information, Stanford university, Library of Congress ٢٠١٦. تاريخ

الدخول ٢٠١٧ / ١٠ / ٢٢ م

وبقدر ما يكون الإنسان جسماً بقدر ما يوجد - هناك، أي في العالم. فنحن لا نستطيع أن نقول عن شخص أنه يوجد-هناك بدون أن يكون له جسم. ولكن مع ملاحظة أن امتلاك الإنسان للجسم لا يعوقه عن الحركة والتنقل في العالم. فالإنسان، كما يؤكد "هيدجر"، لا يكون منصهراً في المكان الذي يشغله في العالم، كما أنه لا يوجد بجواره، ولكنه يكون متفاعلاً معه، وهذا التفاعل يتم خلال الحركة الدائبة الواقعة في المكان والتي تتيح للإنسان التنقل باستمرار من مكان إلى مكان آخر، كما تتيح له أيضاً احتلال أماكن كثيرة في وقت واحد. فكل إنسان له مكان للعمل، ومكان آخر للسكن، ومكان للتزدهن... وغيرها من الأماكن التي يمارس الإنسان فيها أنشطته المختلفة.

ومن الملاحظ أن المكان يكون منظماً منذ البداية من منظور مشاركتنا الجسدية فيه. فاتجاهي "اليمين" و"اليسار"، على سبيل المثال، يتأسسان لدى كل فرد على أساس جسمه هو بمعنى أنه لا يستطيع تعريفهما بدون جسمه. ولكن كثيراً ما يعيد الإنسان تنظيم، أو تغيير، مكانه من وجهة نظره الخاصة لأنه يشعر أنه الموضوع الخاص به. ففي المعمل أو في المكتب أو في المنزل، لا بد أن يوضع كل شيء في مكانه حتى يعرف الإنسان أين يجده بسهولة. وتعدد المواضع التي ينظمها كل إنسان يعكس في النهاية تناسقاً فيما بينها، وهذا التناسق من شأنه الإسهام في إنجاز المهام الإنسانية على أكمل وجه ممكن. (١)

وما يقال عن المكان، يقال عن الزمان. فالزمان، كما يؤكد "هيدجر"، هو الذي يجعل الكينونة مرئية وواضحة وسهلة الفهم نظراً لما يضيفه عليها من حضور. ففي ضوء الزمان يتم فهم الإنسان بوصفه حضوراً أو موجوداً في الحاضر، ولكن هذا الحضور، برغم أنه هاماً في فهم الإنسان، إلا أنه يعكس تشتت الإنسان في العالم وسط الأشياء، أو، بتعبير "هيدجر"، انغماسه أو سقوطه فيه.

فهيدجر يعتقد أن الوجود البشري مطبوع بطابع الزمان بمعنى أنه موجود زماني له خصائص زمانية تميزه، وهذه الخصائص الزمانية هي: الوقائعية، والوجودانية أو الوجود الماهوي، والسقوط. فالوقائعية تشير إلى واقعة الوجود البشري في العالم أي

(١) Heidegger, M.: Being and Time, Translated by John Macquarrie & Edward Robinson, Harper & Row / publishers, New York / Hagerstown / San Francisco / London, ١٩٦٢, PP. ١١١-١١٣.

أنها تشير إلى الحاضر، وتشير الوجودانية أو الوجود الماهوي إلى مستقبل الوجود البشري على اعتبار أن الإنسان مشروع أو خطة وجود سوف تتحقق في المستقبل، وأخيراً يشير السقوط إلى ماضي الوجود البشري بوصفه تشيؤاً للإنسان.

والإنسان الساقط عند هيدجر هو إنسان متشيء بمعنى أنه يحاكي الأشياء في موضعها ولهذا يتحول وجوده إلى وجود زائف و يصبح أدنى من الوجود البشري، وتتبدى مظاهر هذا الوجود الزائف عند هيدجر في أمور كثيرة منها: امتثال الإنسان للأخلاق الدينية، أي الوقوع في الذلات الأخلاقية، وحب الثرثرة والفضول والتقليد الأعمى لعامة الناس... وغير ذلك من الأفعال التي تشير إلى انغماس الإنسان في العالم وانصهاره في الأشياء. ولكن هيدجر يؤكد أن الإنسان بوسعه أن يتحرر من عبء هذا الموقف بواسطة ضميره الذي يحثه دائماً على سماع نداء الوجود يناشده أن يسعى إلى تحقيق ذاته بوصفه الغاية المثلى بالنسبة له. (١)

ودائماً يكون الإنسان عند هيدجر منخرطاً في تنظيم الزمن من وجهة نظره الخاصة

(ولكنه لا يغيره مثلما يفعل مع المكان)، فيخصص وقتاً للعمل، ووقتاً آخر للطعام والشراب، ووقتاً للراحة، ووقتاً للتنزه... وهكذا، ومن خلال هذه الإيقاعات يصبح الإنسان واعياً بالزمان ولكن مع ملاحظة أن إيقاع الزمن يختلف من وقت لآخر وذلك حسب الحالة الشعورية التي يكون عليها الإنسان، فأحياناً يشعر الإنسان أن إيقاع الزمن سريع، وفي أحيان أخرى يشعر نفس الإنسان أن الزمن يمر ببطيء. (٢)

وهكذا، إذن، يمكن القول أن المكان والزمان عند "هيدجر" هما من الأمور التي تربطنا بالعالم وتحدد طريقة تعاملنا معه، ولكنهما لا يجعلان الرابطة بين الإنسان والعالم مجرد رابطة بين ذات وموضوع، وذلك لأن الرابطة التي تربط الإنسان بالعالم هي رابطة وجودية قوامها الشعور بالاهتمام، وهذا ما سوف يتضح في السطور القادمة.

(١) مارجوري جرين: هيدجر، ترجمة/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص ١٩ - ص ٢٤

(٢) فرانسوا داستور: هيدجر والسؤال عن الزمان، ترجمة د/ سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م، ص ٣٩ - ص ٥٠

## ثالثاً: طرق التعامل الإنساني مع البيئة:

الاهتمام العملي (الاستخدام) - الاهتمام العلمي (الفهم أو المعرفة)

إن الإنسان، كما يؤكد "هيدجر"، لا يترك بيئته دون أن يفكر فيها أو يأخذها مأخذ الجد، ولذلك دائماً ما ينظر إليها من منظور الاهتمام العملي البرجماتي وآية ذلك أنه يدرك أن تحقيق ذاته لن يتم بدون مساعدتها ولهذا يهتم بها، ومن هذا المنطلق كان استخدام "هيدجر" لمصطلح "الاهتمام" Concern للدلالة على تفاعل الإنسان مع البيئة، وهو يشير عنده إلى الطرق التي لانهاية لها التي تصطدم بها مصالح الانسان مع كل ما يوجد في العالم. فالتعامل، والاستخدام، وتناول الطعام والشراب، والبناء، والصناعة، والعتور على الطريق، ومعرفة الوقت، والتنقل، وبذر البذور وحصد الحصاد ... فكل ذلك يعتبر في رأي "هيدجر" أنماطاً للاهتمام البشري بالعالم.

غير أن "هيدجر" يؤكد أن الأنشطة السابقة تعتبر أنشطة إيجابية تقابلها أنشطة أخرى سلبية، كالتدمير والعدوان وكلها توضح طرق اهتمام الإنسان بالعالم. فالإنسان عندما يتعامل مع العالم، فإنه يتعامل من خلال منظور بعينه هو المنظور العملي البرجماتي الذي يرى الأمور كلها من وجهة نظر عملية بحتة، والسبب وراء ذلك يكمن في أن الإنسان يكتشف أن تحقيق إمكاناته، وبالتالي تحقيق ذاته، لن يتم إلا بمساعدة العالم، ومن ثم يسعى جاهدا لتطويع هذا العالم لصالحه بمعنى أنه ينظر إليه بوصفه عالم وسائل Instruments\* في المقام الأول.<sup>(١)</sup>

ومن هذا المنطلق تتحول كافة الأشياء التي يتكون منها العالم بواسطة الإنسان إلى وسائل وأدوات و يتم تسخيرها والسيطرة عليها بهدف خدمة الإنسان، والمدهش أن الأشياء نفسها تتصاع طواعية لأوامر الإنسان بحيث أنه يستطيع استخدامها كيفما ومتى شاء، بمعنى أنها تكون في متناول يده ورهن إشارته أو، بتعبير "هيدجر"، تصبح

\* يعتبر "جون ديوي" J. Dewey (١٨٥٩-١٩٥٢م)، الفيلسوف الأمريكي المعاصر صاحب مصطلح (الذرائع أو الوسائل) الذي يعني عنده أن الأشياء ما هي إلا وسائل يستعين بها الانسان لخدمة حياته. انظر: - د/ زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج١، ص٦٥

(١) مارتن هيدجر: ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيدرلين وماهية الشعر، ترجمة/فؤاد كامل، ومحمود رجب،

"وجوداً عندياً" Zuhandnsein، وهذا التعبير ألماني، ويقابله في اللغة الإنجليزية مصطلح "Being in hand".

والوجود العندي، عند "هيدجر"، هو ذلك الوجود الذي يقع في متناول اليد ويكون قابلاً للاستخدام البشري، ولكنه يكون مبهماً من الناحية العقلية بمعنى أنه يظل مستعصياً على الفهم إلى أن يخضع للنظر العقلي ويتم تفسيره وعندئذ يتحرر من صفة الإبهام أو الغموض، كما يتحول من حالة "الوجود العندي" أي الوجود القابل للاستخدام إلى حالة "الوجود العيني" "أو" الوجود الأمامي "Vorhandnsein" و يقابله في اللغة الإنجليزية مصطلح "Being in front".

أي الوجود القابل للفهم والاستخدام معاً. (١)

ويمكن القول أن الفرق بين هذين النوعين من الوجود (الوجود العندي والوجود العيني) هو نفسه الفرق بين مجابهة العالم بالحواس، ومجابهته بالعقل. فعلى حين تكون مجابهة العالم بالحواس متاحة لكل الناس – ولهذا يمكن لكل إنسان لديه قدر معين من الخبرة التعامل مع أشياء العالم واستخدامها، تكون مجابهة العالم بالعقل مقتصرة على نفر قليل من البشر يسمون "العلماء" لديهم وعياً علمياً أكسبهم معرفة نظرية بالأشياء وبطرق استخداماتها المثلى، وهذا يعني أن "الوجود العندي" يتيح استخدام الشيء بغض النظر عن فهمه أما "الوجود العيني" فيتيح إمكانيتي الفهم والاستخدام معاً وفي نفس الوقت، ولهذا يتفوق "الوجود العيني" عند "هيدجر" على "الوجود العندي" لكونه مفهوماً، وفي حالة قرب وجودي من الإنسان الأمر الذي يسهم في فتح آفاق جديدة أمام الإنسان بطرق استخداماته المتعددة.

ولكي يوضح ذلك يفرق هيدجر بين الشيء أو الوجود العندي، والأداة أو الوجود العيني، حيث يرى أن شيئية الشيء تعني قيامه بذاته، واستقلاله عن الوجود الإنساني، ولكنه يكون موجوداً من أجل الإنسان بمعنى أنه يجاور الإنسان في الوجود -في- العالم بوصفه حالاً من أحوال الوجود وليس بوصفه ادراكاً أو وعياً للوجود الإنساني. وثمة ألفة يجدها الإنسان بينه وبينه، وهذه الألفة هي التي تجعله يقترب منه ويتناوله بيده ليستخدمه في تحقيق مهامه اليومية، والغريب أن الأشياء نفسها، ما أن تمتد يد الإنسان إليها حتى تصبح مرنة وطبعية في يده وتترك نفسها للمشاهدة. فالطبيعة تشرق

(١) مارتن هيدجر : ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيدلرلين وماهية الشعر، الترجمة العربية، ص ٢٦، وما بعدها

فتضيء بنورها الأشياء وتعلن عن وجودها للإنسان وهي لا تظهر بصفتها الأساسية وإنما بصفتها الأدائية أي بوصفها وسائل نافعة تسهم في انجازات ومهام الإنسان اليومية. (١)

هذا يعني أن الأشياء تتحول بفضل الاستخدام إلى أدوات، ولكن الأداة، عند "هيدجر"، ليست آلة كذلك التي يستخدمها العامل في مصنعه، ولكنها أي شيء يقع في متناول اليد ويكون قابلاً للاستخدام، كالفأس، والحجرة، والكرسي، والمنزل، والقطار، والصحيفة، والتليفون... وغيرها من الأشياء التي تكون قابلة للاستخدام البشري. فنحن، فيما يرى هيدجر، لا نكتشف الأدوات بمجرد رؤيتها لها أو حتى بمجرد إدراكنا الحسي لها، ولكن الاستخدام وحده هو الذي يتيح لنا ذلك، علاوة على أن الاستخدام يسهم في الكشف عن أدوات أخرى كثيرة بل و يكشف لنا عن إمكانياتنا، وبالتالي عن وجودنا. (٢)

ويوضح "جان بول سارتر" ذلك فيقول أن التجربة الملموسة للشيء هي التي تجعله كما لو كان موجوداً من أجلنا، وذلك لأنها تكشف لنا أن الشيء يوجد رهن إشارتنا وأنه صالح للاستخدام في أحد أمور حياتنا اليومية. فضلاً عن ذلك يرى "سارتر" أن اكتشاف الشيء أنطولوجياً يعتبر رهن التجربة، ولهذا كان الحديث عن وجود الشيء قبل التجربة هو، في رأيه، حديثاً بلا معنى. (٣)

وهذه الأمور تتضح، كما يقول هيدجر، عند معرفة الاختلاف الأنطولوجي Difference Ontological بين وجود الوجود الإنساني ووجود الموجودات، فبرغم أن كلاً منهما مستقل في وجوده عن الوجود الآخر، إلا أن كل وجود منهما يعتمد بشكل ما على وجود الآخر، فوجود الإنسان يتحقق بفضل مساهمة الأشياء في انجاز مشروعاته. فالإنسان يصطدم بالأشياء عند استخدامها بحيث تكون في

(١) Robert Cavalier: Lectures on Heidegger's Being and Time, copyright by, Robert Cavalier at rcyz@ Andrew. Cum.edu, department of philosophy/ Carnegie Mellon university. تاريخ النسخ:

٢٠١٧/١٠/١٧م

(٢) مارتن هيدجر: كتابات أساسية، ج ١ "منبع الأثر الفني"، ترجمة/ اسماعيل المصدق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص ٢٥

(٣) جان بول سارتر: الوجود والعدم، ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٦م. ص ٩٧.

نظام من الإحالة و السياق الترابطي أو المواضع المكانية المنظمة التي تسمح له بإنجاز مهامه على الوجه الأكمل عند استخدامها. ففي العمل وفي المنزل وفي الشارع كل شيء له مكانه المحدد.

بعبارة أخرى، تقدم لنا البيئة الأشياء في إطار محدد يوضح ما يمكن أن تفعله هذه الأشياء في حياتنا أي يظهر الغرض الذي وُجدت من أجله، وهي تكون مرتبة بحيث تحيل كل واحدة منها إلى الأخرى. فكل شيء يقتضي شيئاً آخر ولذا فهو يحيل إليه. فالقلم يقتضي الورقة، والورقة تقتضي نظام البريد، ونظام البريد يقتضي طرقاً للمواصلات.... وهكذا بلا نهاية. ولهذه الإحالة دلالة هامة عند "هيدجر" نظراً لأن كل شيء يستمد معناه من السياق الذي يوجد فيه بحيث إذا تم انتزاعه من هذا السياق فقد معناه. (١)

وفي هذا الإطار يرى سارتر أننا نكتشف الشيء أو المطرقة ، على سبيل المثال، عندما نستخدمها في عملية الطرق، كما أن استخدامها هو الذي يحيلنا إلى السندان، كما يحيلنا في الوقت نفسه إلى الوجود الإنساني الذي يتجسد في الحداد. وكل شيء آخر يستخدمه الإنسان يقوم بنفس الدور الذي تقوم به المطرقة، فاستخدام الإبرة، يحيلنا إلى الخيط، كما يحيلنا إلى الخياط، واستخدام الورقة، يحيلنا إلى القلم، كما يحيلنا إلى الكاتب، والقارئ أيضاً. (٢)

من هذا المنطلق لم يسعى هيدجر إلى تقديم نصائح للإنسان تعينه على التعامل مع الأشياء التي يستخدمها في انجاز مشروعاته، لأنه يؤكد أن هذا التعامل مألوفاً لكل إنسان، وهذه الألفة تتم عن منظور قبلي لعلاقة الإنسان بالأشياء، وهذا المنظور سابق على أي تأمل نظري أو معرفة علمية، علاوة على أن التأمل النظري والمعرفة العلمية قد يسهمان في تطوير استخدام الأشياء، ولكنهما لا يمكنان الإنسان من معرفة طبيعتها، فنحن لا ندرك ثقل أو خشونة المطرقة عبر التأمل النظري والمعرفة العلمية، وإنما عن طريق الاستخدام فقط. (٣)

(١) د: عبد الغفار مكاي: نداء الحقيقة، مع ثلاثة نصوص عن الحقيقة لهيدجر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ص ٦٨

(٢) جان بول سارتر: الوجود والعدم، ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي، ص ٢٤٦.

(٣) د: عبد الغفار مكاي: نداء الحقيقة، مع ثلاثة نصوص عن الحقيقة لهيدجر، ص ٦٩ - ٧٠

ولعل هذا يفسر لنا وافق هيدجر هوسرل في مسألة وضع الأشياء بين الأقواس لحمايتها من هيمنة الوعي عليها وابقائها مستقلة بعيداً عن أي أحكام مسبقة، ولكنه رفض فكرة التعامل مع الأشياء عبر الوعي واستبدالها بالتعامل الواقعي وهو ما أسماه "الاستخدام"، وهو يسفر عن علاقة وجودية وليس علاقة معرفية، وبذكاء نجح هيدجر في تحويل فينومينولوجيا هوسرل إلى أنطولوجيا. (١)

وقوام العلاقة الأنطولوجية بين الإنسان والأشياء هو "الاهتمام" العملي البرجماتي أو اتباع الإنسان النظرة الأداة للأشياء وهي نظرة فيزيقية وليست نظرة ميتافيزيقية، فالنظرة الفيزيقية تنصب على منح الأشياء دفقة الوجود بداية من استخدامها وتنظيمها، ففي العمل وفي المنزل لا بد أن يوضع كل شيء في موضعه الذي يهيئه للاستخدام وحتى يكون أمامي وفي متناول اليد متى احتجته وجدته، وعند استخدامه فأنا أمنحه الوجود، ولكن وجوده حتى الآن يكون محتجباً وراء الغاية التي يحققها لي، وعند التساؤل عن وجوده يتم تحويله إلى الميتافيزيقا. (٢)

إن الإنسان يكون مهتماً بالأشياء لأنه يجدها حوله وليست منفصلة عنه علاوة على أنها تساعد دون أن يلتفت إلى حقيقة وجودها، فهو يكتفي باستخدامها لينجز مشروعاته، فهي تكون قابلة للاستخدام وهو يجد نفسه ممتكلاً لمهارات التعامل معها، فينخرط في أداء مهامه، تماماً مثلما ينخرط الحداد في استخدام المطرقة والمسامير لينجز عمله دون أن يتوقف لحظة لمعرفة حقيقة وجودهما أو يضعهما موضع التأمل العقلي أو البحث العلمي.

وهكذا تظل الأشياء على هذا النحو وجوداً مبهماً يختفي وراء ما يحققه من غايات، ولكن هيدجر يرى أن تكرار استخدام الشيء يجعله مبتذلاً، وهذا الابتذال من شأنه أن يجعل وجود الشيء مخفياً فيما وراء الغاية التي يحققها. فعندما أتحدث، على سبيل المثال، في الهاتف فإنني لا أكون مهتماً بالهاتف نفسه، وإنما بالشخص الذي أتحدث معه، ولكن عندما يصبح الهاتف غير صالح للاستخدام، كأن يصمت فجأة

(١) Internet encyclopedia of philosophy, Martin Heidegger. تاريخ الدخول ٢٢/١٠/٢٠١٧م.

(٢) هيبست بافي حلبجة: هيدجر وإشكالية مفهوم الوجود، مجلة ايلاف، ١٣/١٢/٢٠١١م، تاريخ

الدخول: ٢٢/١٠/٢٠١٧م



ويصبح غير صالح للاستخدام، فإنني أنتبه إلى وجوده، وهذه الحالة يسميها "هايدجر" حالة الافتقار إلى القرب الوجودي أو الافتقار إلى المعرفة. (١)

وقد يكون اكتشاف وجود الشيء أيضاً مترامناً مع الوقوع في خطأ بصدده استخدامه. فالخطأ يجعلنا ننتبه فجأة إلى الشيء الذي كنا نسلم طوال الوقت بوجوده رهن إشارتنا وبقابليته للاستخدام. فنحن، في أغلب الأحيان، نركز على الغاية التي يحققها الشيء، وليس على الشيء نفسه، ولكن بمجرد أن يتوقف الشيء عن العمل المنوط به نلنقت إليه محاولين معرفته على النحو الأكمل.

ويفسر "هايدجر" سبب ذلك فيقول أن ثقتنا في الشيء هي التي تجعلنا مطمئنين إلى أنه لن يخذلنا إذا ما حاولنا استخدامه في أي وقت ولكن هذه الثقة سرعان ما تتبدد في لحظة معينة في حال تعثرنا في التعامل مع شيء ما، وعندئذ يبدو الشيء، الذي كان في متناول أيدينا طوال الوقت، عصياً على الاستخدام، كما يبرز وجوده أمامنا بعدما كان متوارياً وراء الغاية منه.

وعند هذه اللحظة يتحول الاهتمام العملي بالأشياء من جانب الإنسان إلى اهتمام علمي، وهنا يذكر هايدجر أن التعامل البشري مع الأشياء يتغير و يتطلب من الإنسان معرفة بعدما كان يتطلب مهارات خاصة تمكنه من استخدامها. فالأشياء كانت أدوات يستخدمها الإنسان لقضاء أمور حياته المختلفة، ونظراً لكثرتها وتعددتها كان لابد أن يكون الإنسان على دراية بطرق تعامل كثيرة ومختلفة. فكل أداة يكون لها طريقة خاصة في الاستخدام ومن ثم تقتضي مهارة معينة وقدر معين من الخبرة، ولكن بعد الاستعانة بالمعرفة تتطور لتسهم في انجاز المزيد من المهام الإنسانية. (٢)

إن تخلي الشيء عن طابعه الأداتي، هو الذي يقودنا إلى معرفته، حقاً أن استخدامه فيما مضى قد كشف لنا عن أنماطه أو طبيعته الأداةية أو العلية\* التي تتكفل بجعله صالحاً للاستخدام البشري، ولكنه، بالرغم من ذلك، يظل الشيء مفتقراً إلى

(١) Heidegger, M.: Being and Time, Translated by John Macquarrie & Edward Robinson, P. ٢٢٦

(٢) Ibid., P. ٣٦٢

\* يرى هايدجر أن هناك أربعة علل تعلمناها منذ القدم وهي التي تتكفل بجعل الشيء صالحاً للاستخدام البشري واقتياده من الخفاء إلى الظهور أمام الإنسان، وهذه العلل متضامنة وتُعرف بالعلية، وهي على التوالي: العلة المادية أو مادة الشيء، والعلة الصورية أو صورة الشيء وشكله، والعلة الغائية وهي الغاية من وجود الشيء، والعلة الفاعلة ويُقصد بها صانع الشيء.

انظر: مارتن هايدجر: التقنية- الحقيقة - الوجود، ترجمة /محمد سبيلا و عبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ٤٦-ص ٥١

التفسير القائم على التصور العلمي أو المعرفة، إلا أن أهمية المعرفة تكمن في قدرتها على تحقيق القرب الوجودي بين الإنسان والأشياء، وهذا القرب الوجودي يراه "هيدجر" ضرورياً لأنه السبيل إلى اكتساب الإنسان وعياً بوجود الأشياء وبطرق استخدماتها المثلى. فالقرب الوجودي عند "هيدجر" هو أحد وسائل نزع الحجب عن الأشياء لجلبها إلى نور الوجود، أي أن شئئية الشيء تحتجب وتحتاج إلى من يكشف عنها الحجب، وهذا لا يتم إلا من خلال المعرفة. (١)

ولكي يؤكد وجهة نظره، يعود "هيدجر" إلى التصور اليوناني للحقيقة حيث يرى أن الفكرة اليونانية الخاصة بالحقيقة تشير إليها بوصفها "عدم الاحتجاب" أو "عدم الاختباء" Aletheia بمعنى "المتجلي" Manifest، ولكنها تؤكد أن الحقيقة لا تكون على هذا النحو إلا بفضل الإنسان الذي لا يتوانى عن الكشف عنها بواسطة نزع الحجب التي تستتر خلفها، والإنسان بهذه الطريقة يكون أقرب إلى الضوء الذي يتسلط على الحقيقة فينيرها ويظهرها.

ومن هنا يقرر "هيدجر" أن الحقيقة تضرب بجذورها في الوجود البشري، بما يعني ارتباط وجودها بوجوده. فالحقيقة تعتبر كشفاً إنسانياً، وهذا يؤكد قدرة الإنسان على الانفتاح على العالم وكشف ما فيه من حقائق. ولكن هذا الكشف، الذي يمتلك ناصيته الإنسان، لا يتم، في رأي "هيدجر"، على نحو اعتباطي، بقدر ما يتم على نحو مسئول وجاد من خلال ما يمتلكه الإنسان من حب للمعرفة والتفسير. (٢)

فالإنسان يسعى دائماً إلى معرفة كل شيء يوجد حوله، كما يسعى أيضاً إلى إيجاد تفسير لهذا الشيء، بل وإلى تطويره أيضاً. فهو بالمعرفة يظهر الشيء إلى الوجود أي يكشف عن وجوده، وبالتفسير يمكنه تحديد الغاية من هذا الشيء، ثم إنه يطوره باستمرار لخدمة حياته.

بعبارة أخرى يرى "هيدجر" أن المعرفة تركز على الجوانب المرئية من الشيء، في حين أن التفسير يركز على الجوانب الماورائية له، ولكن إظهار الجوانب الماورائية

(١) د/ جمال محمد أحمد سليمان: الوجود والموجود عند مارتن هيدجر، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،

٢٠٠٩م، ص ٢١٢

(٢) Heidegger, M.: Being and Time, P.٢٢٦.

للشيء لا يتم بدون الجوانب المرئية، بمعنى أن تحديد الغاية من الشيء يعتمد على إظهار وجوده أولاً، فالنفس هنا يعتمد على المعرفة وليس العكس. (١)

ويعبر "سارتر" عن ذلك فيقول: "إن وجود الموجود هو ما يظهر عليه، ولكن هذا الظهور يفترض من يظهره. والظاهر في حالة الأشياء لا يخفي الماهية، وإنما يكشف عنها، وهذا الكشف يحتاج إلى من يزيل الحجب". (٢)

وإلى نفس هذا المعنى يشير "أورتيجا إي جاسيت" حين يذكر أن معرفة الشيء لا تنحصر في انطباع صورته في الذهن، كما لا تقتصر على مطابقة صور الذهن عليه، وإنما تتعدى هذين الشكلين إلى ما يسمى بالتفسير، والتفسير يتحقق بمجرد معرفة الدور الذي يحتله الشيء في البناء الكلي للأشياء، وهناك فقط يكون التعامل مع الشيء أمراً سهلاً للغاية، ومن هذا المنطلق رفض "أورتيجا" أي محاولة لتعريف الشيء بمفرده، أي منعزلاً عن الأشياء الأخرى، وذلك لأنها لن تفضي إلى المعرفة التي يبتغيها الإنسان عنه.

فمن ينشد معرفة الأشياء حقاً، فعليه، فيما يرى "أورتيجا"، أن يبدأ بنشر شبكة من العلاقات بين الأشياء، ثم يشرع في البحث عن علاقة كل شيء بغيره من الأشياء الأخرى، وفي هذه الحالة سيغدو كل شيء واضحاً أمام الإنسان، كما ستبدو معرفته أدق وأعمق عن ذي قبل، لأن المعرفة الدقيقة لا تتحقق، في رأي "أورتيجا"، إلا في إطار النسق الكلي للأشياء.

وفضلاً عن ذلك يؤكد "أورتيجا" أن الهدف الأسمى للمعرفة ينبغي أن يركز على توحيد الأشياء الجزئية وليس على جمع المعلومات عن كل شيء يوجد، وذلك لأن المعرفة الجادة هي التي تنتش هذه الوحدة التي تكون مختفية في الأشياء المتعددة، لكي تنجح في التعامل مع الأشياء بسهولة ويسر. (٣)

فالمياه، على سبيل المثال، كانت في الخبرة العادية مجرد وسيلة للري، ولكنها بفضل المعرفة أصبحت وسيلة من وسائل النقل ومصدراً من مصادر الطاقة. فالمعرفة الدقيقة هنا هي التي زودت الإنسان بطرق جديدة لاستخدام المياه وتطوير دورها، ويمتد

(١) مارتن هيدجر: كتابات أساسية، ج ١، ص ٣٣-٥١.

(٢) جان بول سارتر: الوجود والعدم، ص ١٤.

(٣) Jose Ortega Y Gasset: What's Philosophy? P. ٤٤.

دور المعرفة الدقيقة أيضاً إلى تحديد الغاية من كل شيء يصنعه الإنسان و يضيفه إلى عالم الأشياء، فلقد حددت المعرفة مثلاً غاية الساعة في معرفة الوقت، وغاية الحذاء في استخدامه في المشي، وغاية القلم في الكتابة به.

غير أن المعرفة لم تصل، فيما يرى "هيدجر"، إلى هذه الدرجة من التقدم في التعامل مع الأشياء إلا لتجاوزها الصفات النفعية لكل شيء يوجد . بعبارة أخرى ، يرى "هيدجر" أن المعرفة حين قامت بتجميد استخدام الأشياء واقتصرت على النظر إليها بوصفها ظواهر فيزيقية ، نجحت في معرفتها على نحو أفضل عن ذي قبل. (١) وفضلاً عن ذلك، فلقد أتاحت المعرفة للإنسان أن يضم إلى عالمه مالا حصر له من الأشياء وتسخيرها لخدمة حياته حتى أصبح العالم الإنساني أكثر تعقيداً عن ذي قبل. فكلما اكتشف الإنسان شيئاً جديداً وعثر له عن موقع في مشروعه الخاص ضمه إلى عالمه، وساعده على ذلك طواعية الأشياء وانقيادها له، وحتى الأشياء التي كانت تبدو صعبة المراس، كالبهار والجبال والأجرام السماوية، أصبحت، بفضل المعرفة، سهلة المراس والتناول. (٢)

ويتضح هذا الأمر في الواقع الذي نعيشه، فلقد أتاحت المعرفة العلمية للإنسان إخضاع أشياء كثيرة لخدمة الإنسان على نحو لم يعهده من قبل. فقد ساهمت المعرفة في تحول أشياء كثيرة من حالة " الوجود العنزي" إلى حالة " الوجود العيني" ، فعلى سبيل المثال، تحول الأنهار من مجرد وسيلة للري، إلى وسيلة من وسائل المواصلات ومصدراً من مصادر الطاقة الكهربائية، والأجرام السماوية أصبحت مرشداً للملاحة علاوة على استخدامها كساعة طبيعية لقياس الزمن.

غير أن "هيدجر" يؤكد أن السيطرة الإنسانية على الأشياء التي نمت بفضل المعرفة لا تعني أن الأشياء تابعة للإنسان أو غير مستقلة ، بل، على العكس من ذلك، تظل الأشياء مستقلة تماماً عن الإنسان، فالإنسان في رأي "هيدجر" قد جابه عالمه على مرحلتين هما: المرحلة الحسية، وهي مرحلة الدهشة أمام وجود الأشياء وقابليتها للاستخدام، ففي هذه المرحلة اتخذت مجابهة الإنسان للعالم الشكل العملي البحث ، في حين أن المرحلة الثانية وهي المرحلة العلمية اتخذت مجابهة الإنسان للأشياء شكلاً

(١) Heidegger, M.,: Being and Time, P.٣٦٢.

(٢) مارتن هيدجر : كتابات أساسية، ج ١ " منبع الأثر الفني"، ترجمة/ اسماعيل المصدق، ص ٢١

محسوباً ومرتكزاً على النظر العقلي. وفي كلا المرحلتين، الحسية والعقلية، يبدأ الإنسان من الشيء لا من عقله، بمعنى أنه لا يضيفي تصوراته عليه، وإنما يتركه يعلن عن نفسه أو، بتعبير "هايدجر"، يتركه يوجد على النحو الذي هو عليه. (١)

وهنا تظهر براعة هايدجر التي أذهلت معاصريه وجعلتهم يعتبروا ما وصل إليه بمثابة الثورة الفكرية، وذلك لأنه خالف التقليد الفكري السابق عليه عندما جعل المعرفة تبدأ من الموجودات وليس من الإنسان، بل إنه جعل المعرفة ضرباً من الوجود مع الأشياء في العالم، ولكنه نسب إلى الإنسان مهمة اضعاف المعنى على الوجود كله عبر ما يقوم به من كشف لكل شيء حوله، وهذا ما سوف يتضح لاحقاً. (٢)

رابعاً- الرسالة التنويرية للإنسان تجاه البيئة:

ويؤكد "هايدجر" أن النجاح الإنساني في التعامل مع الأشياء سيظل مضطرباً طالما أن شغف الإنسان بالعالم واهتمامه به لا يتوقف. فلدى الإنسان نزعة تجعله يقترب من الأشياء، ويرمي بالضوء عليها لكي تصبح واضحة وجليّة، بعد أنت كانت محتجبة، ولا يقتصر هذا الأمر على إنسان دون غيره، وإنما يشمل الناس جميعاً في كل زمان ومكان. فالاهتمام الإنساني بالأشياء يعتبر، فيما يؤكد "هايدجر"، فطرياً في الإنسان وليس شيئاً مكتسباً. وهذه الفطرة هي ما يسميه "هايدجر" "نزعة التنوير" التي تمثل في رأيه البعد الأنطولوجي للوجود الإنساني.

فالأشياء تظل، فيما يرى "هايدجر"، مجهولة ومحتجبة إلى أن تمتد يد الإنسان إليها لتزيل عنها الحجب وتجذبها إلى نور الوجود، وحينذاك تغدو الأشياء معلومة ومرئية، ويصبح وجودها ديناميكياً بعد أن كان وجوداً استاتيكيّاً، والإنسان وحده هو الذي يقوم بذلك لأنه يمتلك، في رأي "هايدجر"، سمة الكشف لما هو محتجب، وبدون الإنسان لن يظهر شيء على الإطلاق، ولهذا السبب يعتبر "هايدجر" التنوير متغلغل في نسيج الوجود الإنساني ومنصهر داخلياً فيه، و لا يمكن اعتباره شيئاً مكتسباً، ولذلك كان ظهور الأشياء على مسرح الوجود متزامناً مع وجود الإنسان، يقول "هايدجر": "إن الحقيقة توجد فقط بفضل وجود الآنية". (٣)

(١) مارتن هايدجر : كتابات أساسية، ج ١ " منبع الأثر الفني"، ترجمة/ اسماعيل المصدق، ص ٢١

(٢) د: عبد الغفار مكاي: نداء الحقيقة، مع ثلاثة نصوص عن الحقيقة لهايدجر، ص ٦٧-٦٧.

(٣) Heidegger, M.: Being and Time, P.٢٢٦ .

وهنا يشيد " هيدجر " بدور العلم نظراً لأنه زود الإنسان بشعور غامر بالسيادة على الأشياء والعالم ، وهذه السيادة التي منحها العلم للإنسان ماهي إلا استجابة لنداء الوجود . فالإنسان حين يصغى لنداء الوجود يقترب من الأشياء ويكشف عنها بكل الطرق الممكنة، والكشف عن الأشياء الذي يقدمه العلم هو نفسه المعنى الذي يضيفه عليها وعلى الوجود الإنساني برمته. لأنه يسهم عند "هيدجر" عن تحقق الذات لدى الإنسان الذي كان من الممكن ألا يتم بدون هذا الكشف.

ويمضي هيدجر إلى أبعد من ذلك فيقول أن الكشف الإنساني للأشياء يرادف تحقيق الذات وإضفاء المعنى على الوجود، فحين يلبي الإنسان نداء الوجود ويتبع ضميره بإخلاص، تتحقق ذاته ويتحقق معنى الوجود أيضاً. ولهذا السبب يقترح "هيدجر" أن يكون التساؤل الجاد في الفلسفة متعلقاً بوجود الأشياء القائمة حولنا ، لأن هذا وحده هو الذي سوف يقودنا إلى التساؤل الأخطر والأهم ، وهو التساؤل حول الوجود الإنساني. فالوجود الإنساني يكون مندمجا في العالم مع وجود الأشياء ووجود البشر الآخرين ، ولذلك كان فهم ومعرفة وجود الأشياء متضمناً فهم ومعرفة الوجود الإنساني. (١)

إلا أن هيدجر يرى محاولات فهم ومعرفة وجود الأشياء من جانب الإنسان قد تجعل الأشياء تتأى عن الإنسان بعد أنت كانت قريبة منه، وتصبح عصية المراس صلبة البنية ومتحجرة، وقد تغيب الأفقة التي كانت بينها وبين الإنسان من قبل، لأن محاولة فهم الأشياء ومعرفتها يكون بمثابة اعتداء على استقلالها وهذا يجعلها تنفلت من الإنسان، فالمعرفة تدهم الأشياء لكي تلج إلى أسرار وجودها، كما أن هذا من شأنه أن يجعل الإنسان ينسى وجوده أيضا وينشغل عنه في غمار سعيه إلى الكشف عن وجود الأشياء.

حقاً أن مشاريع الإنسان تعتمد على الكشف عن الأشياء وجعلها مفهومة، ولكن هذا الكشف له حدود، والمعرفة لا حدود لها، فالمعرفة تخضع الأشياء للقياس العلمي لتكشف عن خصائص وجودها، ونظراً لارتباط وجود الأشياء بوجود الإنسان ينسحب البحث العلمي الخاص بالأشياء على الوجود الإنساني أيضاً فيجعله يتشياً أو يصبح شيئاً بين الأشياء . فالتهديد الذي يثقل كاهل الإنسان حالياً هو ضياع ذاته وسط الموجودات،

(١) Ibid., ٦٨-٧٣

حتى أنه لم يعد يصادفها بعد. فهذا الوضع المتأزم الذي يعيشه الإنسان اليوم سببه تشتت ذاته وضياعها وسط وفرة الأدوات، وخاصة بعد ظهور التكنولوجيا الحديثة التي تسببت في تدمير النزعة التنويرية لديه. (١)

### خامساً- ظهور التكنولوجيا وفساد العلاقة بين الإنسان والبيئة:

يرى هيدجر أن كلمة "تكنولوجيا" مشتقة من كلمة "تقني" Techne، وهي كلمة يونانية قديمة كانت تستخدم للدلالة على الفنون الجميلة ومهارات الحرفيين الإبداعية التي تكشف وتميط اللثام عبر الفنون اليدوية عن الموجودات، ولكن هذه الكلمة (تقني) قد تم احيائها في القرن التاسع عشر لتدل على تطبيق المعرفة العلمية على الصناعة، فأصبحت تعني الصناعة وليس الفن. (٢)

فالتقنية الحديثة المؤسسة على المعرفة العلمية وتطبيقاتها الصناعية تشير إلى الإنتاج وليس إلى الكشف ونزع الحجب عن الأشياء، علاوة على أنها تخلت عن البعد الشعري أو الجمالي الذي رافق الكشف الإنساني فيما سبق، فجمال الأشياء يختفي على يديها تحت نير الحساب الكمي والأرباح، وتحول العلاقة بين الإنسان وبيئته إلى علاقة قوامها الاستغلال بدلاً من الاهتمام. فالإنسان أصبح يستغل البيئة بوصفها موارد تتحدد من خلال البيانات والإحصائيات. فالنهر يصبح بمقاييس التقنية مصدراً للطاقة ومورداً مائياً ومجرى ملاحى بدلاً من منظره الخلاب وإلهامه للشعراء، وكل شيء يتحول على هذا النحو من القداسة إلى التجارة. (٣)

ويشيد "هيدجر هنا بالكشف البدائي للأشياء الذي كان يعتمد على خاصية الظهور التي تتمتع بها الأشياء، وفطرة التنوير التي يمتلكها الإنسان، فلقد كان كشف العصر البدائي معتمداً على الأشياء أكثر من اعتماده على الإنسان، بمعنى أن الإنسان البدائي لم يبذل جهداً في البحث عما يكتشفه نظراً لأنه كان يكتشف كل ما يقع أمامه من أشياء، فالأشياء هي التي كانت تستثيره لكي يكتشفها. أما الكشف التقني الحديث المؤسس على المعرفة العلمية فقد أتاح للإنسان خلق أشياء جديدة اعتماداً على أعمال عقله، ولهذا

(١) مارتن هيدجر: التقنية- الحقيقة- الوجود، ترجمة /محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، ص ٧٥

(٢) د/ محمد عناني: مصطلحات الفلسفة الوجودية عند مارتن هيدجر، معجم ودراسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص ١٦٠.

(٣) مارتن هيدجر: التقنية- الحقيقة- الوجود، ترجمة /محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، ص ٥٥.

يعتبره "هيدجر" اختراعاً وليس كشافاً فهو لم يكن تلبية لحاجات إنسانية مثل كان الكشف القديم بل أحد طرق تسخير الطبيعة وتحقيق السيادة عليها. (١)

فكرة تحقيق السيادة على العالم في العصر الحديث هي السبب الذي جر الإنسان إلى طريق الأخطار. فبقدر ما شيد الإنسان من أدوات، واجه العديد من الأخطار بسبب فقدته السيطرة على صناعاته التي تهدده بالدمار و الانقراض، ونظراً لأن الإنسان لم يكتف باكتشاف ما يحتاجه من الأدوات، وسعيه إلى اكتشاف المزيد الذي لا يحتاجه طمعاً في الوفرة المتزايدة فقد فاقت الأدوات حاجاته وبات من الضروري خلق حاجات جديدة تواكب الأدوات المتجددة باستمرار.

فعلى طريقة الرصيد الذي يودعه صاحبه في البنوك ليكون رهناً إشارته، أي مسئولاً عن تأمين احتياجاته في أي وقت، يدخر الإنسان حالياً مالا حصر له من الأدوات ليؤمن بها احتياجاته المتجددة. وكما أن الرصيد الموجود في البنوك يوفر لصاحبه الأمان، تلعب الأدوات نفس الدور الذي يلعبه الرصيد للإنسان العصري الذي انحصرت أهدافه في امتلاك كل جديد في الأسواق مهما كلفه ذلك، فالإنسان العصري يلهث وراء منتجات التكنولوجيا بشكل يبعث على الأسى، علاوة على أن الاعتماد المتزايد على الأدوات قد أصابه بالكسل حيث توفرت لديه أوقات فراغ كثيرة لا يستطيع الاستفادة منها، ومن ثم راح ينفقها في المتعة والاستهلاك. (٢)

ولعل ذلك هو الذي جعل "هيدجر" يعتبر التكنولوجيا الحديثة خطراً يهدد النزعة التنويرية لدى الإنسان، علاوة على أن تنشئ في رأيه السيطرة على الطبيعة وليس التصالح معها، وهذا سوف يقضي بالطبع على الحياة. فلقد تأسست التكنولوجيا الحديثة على العلم الحديث الذي يميل إلى تجميد الواقع بغرض دراسته، وهذا التجميد يقف، فيما يرى "هيدجر"، ضد طبيعة الحياة المتسمة بالتطور والجريان، ومن ثم كانت محاولة إخضاع الحياة لمطالب العقل عقبة في سبيل تجددها واستمرارها، كما أضحت التقنية، بدلاً من مساعدتها للإنسان في كشف حقيقة الموجودات من حوله، نوعاً من الإنتاج الآلي المتكرر الذي يغري الإنسان ويسلبه ذاته. وفي هذا يقول هيدجر: "إن

(١) مارتن هيدجر: الفلسفة في مواجهة العلم و التقنية، ترجمة د/ فاطمة الجبوشي، ص ٦٧ وما بعدها

(٢) المرجع السابق، ص ٧٣-٧٥



ماهية التقنية الحديثة تنكشف في جر العالم إلى شتاء مظلم دائم عبر نزع القداسة عنه".<sup>(١)</sup>

حقاً أن التقنية الحديثة، من خلال عملية التصنيع أو الصناعة، قد أحضرت، ومازالت، للوجود أشياء لا يمكن أن تحضر بذاتها كالسيارات، والطائرات، والصواريخ، و السفن، وكافة الأجهزة المنزلية التي لا يخلو منها بيتاً من بيوتنا، إلا أنها جعلت الإنسان يستغرق ذاته في الأشياء ولم يعد مهتماً بوجوده، فقد انصرف الإنسان إلى الأدوات وأصبح يقدر ما صنع بيده الأمر الذي جعل مصنوعاته بمثابة الأصنام التي يتعبد لها.<sup>(٢)</sup>

وفي ظل التقنية الحديثة يصبح الإنسان الصالح هو ذلك الإنسان المرن الذي يعيش وفق متغيرات السوق والتعددية الثقافية والتحولات الاجتماعية، بحيث أنه يتغير معها باستمرار وتتغير نظرتة تجاه العالم وطريقة تذوقه للأشياء، وبدلاً من الشعور الجمالي والنظرة الشاعرية تصبح النظرة التجارية الاستهلاكية هي السائدة، وتتغير بناءً على ذلك دلالة الأشياء و البشر أيضاً من الدلالة المقدسة والشاعرية إلى الدلالة الاقتصادية الاستهلاكية. فقد كان الإنسان فيما مضى يشعر بأنه مكلف برعاية البيئة، ولكنه حالياً يشعر بأنه وصي عليها ومن ثم راح يرغمها بالخضوع لرغباته، وهي تكتسب قيمتها عنده وفقاً لكفائتها في اشباع هذه الرغبات المتجددة.<sup>(٣)</sup>

إن هيدجر يرى أن التقنية الحديثة تتأسس على أفعال التحريض والاستدعاء للطبيعة في محاولة منها لاستنفار طاقتها، وهذا لا يعتبر كشفاً تويراً بقدر ما هو استدعاء تجاري هدفه الاستهلاك، وعلاوة على ذلك فقد سيطرت على التقنية الحديثة فكرة "المخزون الاحتياطي" والتي بسببها تجبر الطبيعة والأشياء برمتها على الاستجابة لمنظومة السيطرة العلمية والاقتصادية على العالم، وتتخلى عن قوانينها العلية لأجل رغبات الإنسان، فالعلة الفاعلة تختفي عند تجريب قنبلة نووية أو وصفة علاجية غير آمنة، كما تختفي العلة الصورية تحت وطأة الصناعات المتجددة،.... وغير ذلك.<sup>(٤)</sup>

(١) Heidegger, M.,: Poetry, Language, Thought, Harper Calophon, N.y. ١٩٧٥, P. ١١٧

(٢) مارتن هيدجر: الفلسفة في مواجهة العلم و التقنية، ترجمة د/ فاطمة الجبوشي، ص ١٠٦ - ص ١٠٧

(٣) د/ محمد عناني: مصطلحات الفلسفة الوجودية عند مارتن هيدجر، معجم ودراسة، ص ١٥٦ - ص ١٥٨

(٤) مارتن هيدجر: التقنية - الحقيقة - الوجود، ترجمة /محمد سيلا وعبد الهادي مفتاح، ص ٥٧ - ص ٧٢

كما أن استراتيجية القوة التي تتعامل بها التقنية الحديثة مع الطبيعة هدفها أيديولوجي، وهو الحصول على الحد الأقصى من الإنتاج في مقابل الحد الأدنى من النفقات، ولذلك فإن هذه الاستراتيجية تمثل عدواناً صريحاً على الطبيعة وانتهاكاً لنقائها، ونظرة عابرة على الزراعة الحديثة سوف تكشف عن مقدار هذا الاعتداء الأثم، فقد تحولت الزراعة حالياً إلى صناعة هدفها التربح. وذلك لأنها تتأسس على مفهوم الوفرة المادية، فتتبنى نظرية "استدعاء الأرض" واستخراج طاقاتها الكامنة، وفي سبيل ذلك تستخدم الزراعة الحديثة العديد من الوسائل التي قدمها لها العلم مثل: الأسمدة الكيماوية، والهندسة الوراثية.... وغير ذلك من الوسائل التي تحفز الأرض لإنتاج ما يفوق طاقتها، وقد كان ذلك سبباً في إرهاب الأرض الزراعية وضعفها علاوة على إصابة الإنسان بالعديد من الأمراض التي لم نسمع عنها من قبل. ولعل ذلك هو الذي دفع "هيدجر" إلى التأكيد على أن الزراعة الحديثة هي أهم أسباب انقراض الإنسان والقضاء عليه تدريجياً<sup>(١)</sup>

وإذا لم يتصالح الإنسان مع الطبيعة مرة أخرى فلينتظر المزيد من الأخطار. والأمل الوحيد الذي يراه هيدجر ممكناً لإنقاذ الإنسان والطبيعة معا هنا، هو تخلي الإنسان عن أطماعه واستعادة علاقته السالفة مع البيئة، وهذا ما سوف يتضح في السطور القادمة.

#### سادساً-إنقاذ البيئة وعودة الوفاق معها:

يرى هيدجر أن معاملة الإنسان للبيئة يجب أن تتأسس على الحب والتآلف لأنها ليست سوى جزءاً لا يتجزأ من وجوده، فإذا أراد الإنسان أن ينفذ وجوده حقاً، فعليه أولاً أن ينفذ بيئته من خطر التقنية الذي لن يسفر إلا عن خراب، فالتفكير في البيئة من منطلق حسابي أو أداتي لهو العدمية بعينها، وهذا يستحق وقفة تأمل. فما هو الفرق في رأيه بين صناعة الغذاء حالياً، وتصنيع جثث الموتى في غرف الغاز ومخيمات الإبادة النازية، فكلاهما يمثل أحد صيغ العمل التقني تجاه الكائنات الحية.<sup>(٢)</sup>

حقاً، ومن المؤكد أن كل ما في التقنية قد لا يبعث على الأسى على هذا النحو، وقد يقودنا إلى إعادة اكتشاف الينابيع المنسية لخلاصنا، ولكنها حالياً تحتاج منا إلى

(١) د/ محمد عناني: مصطلحات الفلسفة الوجودية عند مارتين هيدجر، معجم ودراسة، ص ١٤٩- ص ١٥١.

(٢) Stanford Encyclopedia of philosophy.

اعادة النظر في غايتها " فكلما ازداد اقتربنا من الخطر، سطحت الأضواء الكاشفة لقوة الإنقاذ".<sup>(١)</sup>

وفي لفظة جديرة بالاحترام يؤسس هيدجر أخلاقيات للبيئة تركز على استعادة العلاقة الرومانسية معها مرة أخرى ، والتي تقوم على أساس التعاون من أجل خير الوجود، وهو يؤكد أن انقاذ البيئة ينبغي أن يكون مشروعاً وجودياً قبل أن يكون مشروعاً بيئياً، فالبينة منحة للإنسان ومن ثم إذا كان الإنسان يطمح في البقاء فلا بد أن يدرك أن البيئة تسهم بنصيب كبير في شكل وكيفية الحياة التي يريدها، ومن ثم عليه أن يوليها نفس الاهتمام الذي يوليها لوجوده.<sup>(٢)</sup>

فمن المعلوم أن الإنسان هو أهم عامل حيوي في البيئة، ولهذا فهو الوحيد الذي يمكنه إما الإخلال بالبيئة أو الحفاظ عليها، فلقد شيد الإنسان المباني الشاهقة التي عمر بها الأرض، كما شيد النظم الاجتماعية وسن القوانين التي تحميها وتحقق له الأمان، ولكنه في الوقت نفسه، قطع أشجار الغابات، وجرف الأرض الزراعية، واستبدل بالزراعة الصناعة فلوث الهواء بالأبخرة والغازات المتصاعدة من عملية التصنيع مثل ثاني أكسيد الكربون، وأكسيد النيتروجين، والرصاص ، وبعض المواد المشعة... وغيرها. كما لوث الإنسان الماء أيضاً بالنفايات. وعلى الإنسان أن يعي حجم الخطر الذي يهدده، وأن يدرك أن الحقوق التي يحصل عليها من البيئة تقابلها واجبات نحوها، فليس هناك حقوق دون واجبات ، وأبسط هذه الواجبات تدشين أخلاق احترام البيئة\* ، ونشرها في كل مكان، بحيث يتم من خلالها توعية الناس بتلك الاعتمادية

(١) د/ محمد عناني: مصطلحات الفلسفة الوجودية عند مارتن هيدجر، معجم ودراسة، ص ١٦٢

(٢) بتصرف) (Stanford Encyclopedia of philosophy

\* ينتقد هانز جوناكس Hans Jonas (١٩٠٣-١٩٩٣م) الفيلسوف الألماني، تلميذ هيدجر والمهموم بأزمة البيئة، موقف هيدجر تجاه البيئة ويشكك في مصداقيته حيث يرى أن التصور الوجودي بشكل عام معادي للطبيعة وهو يتبنى مبررات انتهاكها على يد العلم الحديث وليس أدل على ذلك من تجاهل الوجوديين جميعاً للطبيعة، وعلى رأسهم هيدجر الذي لا يؤمن بالنظام المقدس للخلق، وبالتالي يجعل الفرد فوق أي قانون أخلاقي، ومن ثم فالفرد في الوجودية لا يبالي بالله أو الطبيعة . والحقيقة أن جوناكس هنا غير محق فيما ذهب إليه ، فلقد اهتم معظم الوجوديين بالطبيعة ونهبوا إلى خطر الاعتداء على البيئة عبر التطبيقات العلمية الحديثة، فأغلب مؤلفات هيدجر قد ركزت على هذا الأمر، مثل : الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية، والتقنية والحقيقة والوجود، وكتابات أساسية، وغيرها.

المتبادلة بينهم وبين البيئة ، والتي تؤكد أن الحياة الجيدة التي يطمحون إليها تكمن في وجود بيئة سليمة ، وليس العكس. (١)

وفي هذا يذكر "أورتيجا إي جاسيت أن التعامل مع البيئة ينبغي أن يكون في إطار المبدأ الأساسي للكتاب المقدس وفلسفة "أفلاطون" وهو " مبدأ الحب"، وذلك لأن الحب هو الوحيد الذي في إمكانه أن يحقق رابطة ال "نحن" للإنسان والبيئة معاً، وهذا من شأنه أن يجعل الإنسان منفتحاً على العالم، كما يجعل الأشياء تتفتح للإنسان، وحينذاك سيغدو فهم كل شيء أمراً ميسوراً، وسوف يعود الوئام بين الإنسان والبيئة من جديد. (٢)

---

انظر: وجدي خيري نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة، أخلاق المسؤولية، هانز يونس نموذجاً، تقديم / أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٩، ص ٧١-٧٣.

(١) Op.Cit

(٢) Gasset, Jose Ortega Y.: Meditation on Quixote, with introduction and notes by Julian Marias, Trans. Evelyn Rugg and Diego Marin, The Norton library, W.W. Norton & Company/ New York, ١٩٦١, PP.١٦٩-١٧٨.

## الخاتمة وأهم نتائج البحث:

لقد اتضح لنا من خلال هذا البحث ما يلي:

١- أن الإنسان في فلسفة هيدجر عبارة عن وجود- في -العالم، فهو دائماً ما يكون خارج ذاته في العالم وسط الموجودات والبشر الآخرين الذين يمثلون شطراً هاماً من وجوده بمعنى أنه لا يكون وجوده بدونهم.

٢- أن العالم منقسم عند هيدجر إلى قطاعات متعددة منها قطاع البيئة ، وهو يختلف عن قطاع المحيط الذي يضم البشر الآخرين، فقطاع البيئة يمثل أحد أهم أجزاء العالم الذي يعيش فيه الإنسان و أحد الأبعاد الرئيسية لوجوده، وهو يضم الأشياء والموجودات والمعدات التي يصادفها الإنسان في العالم كوسائل وأدوات تسهم في انجازه لمشروعاته.

٣- يرى هيدجر أن دراسة الإنسان على النحو الأكمل لا بد أن تكون في اطار البيئة، وذلك على غرار دراسة العلوم الطبيعية للكائنات الحية، فالبيئة تسهم بنصيب كبير في شكل وطريقة الوجود التي يعيشها الإنسان فضلاً عن تأثيرها الذي لا يُغفل على أفكاره وثقافته ومعتقداته.

٤- حدد هيدجر وسيلتين يرتبط بهما الإنسان مع البيئة وهما: المكان والزمان. فالمكان يشير إلى تواجد الإنسان في العالم واحتلاله موضعاً فيه من خلال تعيينه الجسماني الذي يتيح له المشاركة في العالم والتنقل فيه وتنظيم مواضع الأشياء حتى يتمكن من استخدامها بأيسر الطرق لإنجاز مهامه اليومية ومشروعاته الوجودية. أما الزمان فيشير إلى سمة الحضور أو التواجد في الحاضر. فالزمن الوجودي ينقسم إلى أبعاد ثلاثة هي: الماضي أو السقوط والتشويء الخاص بالوجود الإنساني، والوقائعية أو الوجودانية وهي تشير إلى حاضر الوجود الإنساني، وأخيراً يشير الوجود الماهوي أو الممكن إلى المستقبل، ووجود الإنسان يكون هرباً من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل عن طريق تحقيق وجوده وهذا يتم له بمساعدة الأشياء الموجودة في البيئة.

٥- لذلك يهتم الإنسان عند هيدجر ببيئته وهذا الاهتمام دائماً ما يتم على نحو برجماتي بحيث تتحول الأشياء خلاله إلى وسائل وأدوات قابلة للاستخدام أو بتعبير هيدجر " في تناول اليد". فالإنسان يجد الأشياء مرنة في يده، ويجد نفسه ممتلكاً لمهارات التعامل معها فيقوم باستخدامها وتنظيمها وفقاً لاحتياجاته ، وهي بدورها تساعده على ذلك بما تمتلكه من طابع والإحالة. فكل شيء يحيل إلى شيء آخر، ويحيل في النهاية إلى الوجود الإنساني

الأمر الذي يعني أن الرابطة التي الأشياء بالإنسان لا تنفصم لأن وجودها يكون من أجله.

٦- ينسب هيدجر إلى الإنسان مهمة الكشف عن الأشياء عن طريق ما يسميه هيدجر "تزعة التنوير" التي فطر الإنسان عليها. فالإنسان مكلف في رأي هيدجر بالكشف عن الأشياء وتوضيح وجودها ، وهذا التوضيح يكون كشفاً أنطولوجياً، أي معتمداً على وجود الأشياء ومحافظاً على استقلالها، فهو يتركها توجد في سياق من التعامل الوجودي، وليس الوصف الفينومينولوجي ، وبهذا نجح هيدجر في تحويل فينومينولوجيا هوسرل إلى ضرب من الأنطولوجيا.

٧- و نظراً لاستجابة الأشياء لرغبات الإنسان، وطمع الإنسان في المزيد من احكام سيطرته عليها وعلى العالم لجأ إلى المعرفة العلمية لتمنحه مقدرة اضافية على الكشف والتحدي، ومن ثم راح الإنسان يستدعي الإمكانيات الكامنة في الطبيعة ليستفيد منها قدر المستطاع، ولكن هذه المحاولات باتت خطراً عليه. فلقد استغرق الإنسان وجوده كله في الأشياء، وبدلاً من أن ينشغل بتحقيق ذاته ، انصرف إلى خلق حاجات جديدة تواكب الأشياء التي لا يكف عن تقديم المزيد منها كل يوم. وعلاوة على ذلك فلقد انحصرت هوية الإنسان الحديث في التملك والاستهلاك حتى تلاشت ذاته وسط هذا الزخم الهائل من الاختراعات الذي من الصعب حصره.

٨- يؤكد هيدجر أن التقنية الحديثة قد قدمت للإنسان وسائل تدميره في إطار براق من الصعب على أي شخص مقاومته. فالطمع في الوفرة المادية قد قادت الإنسان إلى الهلاك، وهذا يتجسد في رأيه في انقلاب العلاقة بين الإنسان والبيئة انقلاباً لن يفضي إلا إلى خراب.

٩- والأمل الوحيد الذي وجده هيدجر للخلاص من هذا الموقف هو انقاذ البيئة من الأطماع الإنسانية المضطردة، وذلك عبر تأسيس أخلاق للبيئة تركز على مبادئ جديدة في الزراعة والصناعة تنشد خير الإنسان والبيئة معا وتسعى إلى إعادة اكتشاف البعد الشعري والمقدس، ذلك البعد الذي توارى خلف النزعة التجارية التي طغت على العالم حالياً وحصرت العلاقة بين الإنسان والبيئة في اطار من المنفعة المادية.

## مصادر ومراجع البحث:

## أولاً : مصادر البحث:

١- Heidegger, M.,: Being and Time, Translated by John Macquarie & Edward Robinson, Harper & Row / publishers, New York / Hagerstown / San Francisco / London, ١٩٦٢.

٢-Heidegger, M.,: Poetry, Language, Thought, Harper Calophon, N.y. ١٩٧٥.

٣- مارتن هيدجر: التقنية- الحقيقة - الوجود، ترجمة /محمد سبيلا و عبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٤- مارتن هيدجر: الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية، ترجمة د/ فاطمة الجوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م.

٥- مارتن هيدجر : كتابات أساسية، ج ١ " منبع الأثر الفني"، ترجمة/ اسماعيل المصدق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٦- مارتن هيدجر : ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ترجمة/فؤاد كامل، ومحمود رجب، راجعه على الأصل الألماني وقدم له د/ عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤م.

## ثانياً: المراجع الأجنبية:

١- Husserl, E.: Phenomenology, in Encyclopedia Britannica, Vol.(١٤), Inc. William Benton,. Publishers, Chicago, Geneva, London, Manila, Paris, Roma, Seoul, Sydney, Tokyo, Toronto, ١٩٧٣-١٩٤٣.

تاريخ الدخول ١٥/٩/٢٠٠٧م

٢-Gasset, Jose Ortega Y.: Meditation on Quixote, with introduction and notes by Julian Marias, Trans. Evelyn Rugg and Diego Marin, The Norton library, W.W. Norton & Company/ New York, ١٩٦١.

٣- Gasset, Jose Ortega Y.: Some Lesson in Metaphysics, Translated from Spanish by, Mildred Adams, W.W. Norton & Company/ New York, London ١٩٦٩.

٤- Gasset, Jose Ortega Y.: What's Philosophy? Translated from Spanish by, Mildred Adams, W.W. Norton & Company/ London ١٩٦٩. ٥-Robert Cavalier: Lectures on Heidegger's Being and Time, copyright by, Robert Cavalier at rc2z@ Andrew. Cum.edu, department of philosophy/ Carnegie Mellon university.

تاريخ الدخول : ١٧/١٠/٢٠١٧م

٦-Stanford Encyclopedia of philosophy, copyright by: The Metaphysics research lab center for the study of language and Infor- mation, Stanford university, Library of Congress ٢٠١٦. -

تاريخ الدخول ٢٢/١٠/٢٠١٧م

٧-Internet encyclopedia of philosophy, Martin Heidegger.

تاريخ الدخول ٢٢/١٠/٢٠١٧م

### ثالثاً: المراجع العربية:

٨- جان بول سارتر: الوجود والعدم، ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.

٩- د/ جمال محمد أحمد سليمان: الوجود والموجود عند مارتن هيدجر، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ٢١٢.

١٠- جون ماكوري: الوجودية، ترجمة د/ امام عبد الفتاح امام، مراجعة د/ فؤاد زكريا، عالم المعرفة، العدد (٥٨) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٢م.

١١- د/ حبيب الشاروني: فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م

١٢- د/ زكريا ابراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج١، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٣- د: عبد الغفار مكاوي: نداء الحقيقة، مع ثلاثة نصوص عن الحقيقة لهيدجر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ص ٦٨.

١٤- فرانسوا داستور: هيدجر والسؤال عن الزمان، ترجمة د/ سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.



- ١٥- مجاهد عبد المنعم: هيدجر راعي الوجود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٣م.
- ١٦-د/ محمد عناني: مصطلحات الفلسفة الوجودية عند مارتن هيدجر، معجم ودراسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص ١٦٠.
- ١٧- مارجوري جرين: هيدجر، ترجمة/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.
- ١٨- وجدي خيرى نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة، أخلاق المسؤولية، هانز يونس نموذجاً، تقديم / أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٩م.
- ١٩- هيبب بافي حلبجة: هيدجر وإشكالية مفهوم الوجود، مجلة ايلاف، ١٣/١٢/٢٠١١م، تاريخ الدخول: ٢٢/١٠/٢٠١٧م.

